

الجاسوس الذى لا يخفى سرا

جاء والدى لزيارتي فى ميس الضباط – حامللى نصيحة
من رئيس ادارة الجيش تقول : لقد ضعت يا انور لا محالة . وحكم
الاعدام صدر – بالفعل – ضدك ! وتنفيذ الحكم رميا بالرصاص اصبح
مسألة ايام قليلة ومعدودة ! فاذا اردت ان تنجو بحياتك فليس امامك
سوى الاعتراف ! فاعترف بكل شئ ، فهذا وحده الذى يمكن ان يوقع
المجلس العسكرى الاعلى بتخفيف الحكم ضدك ، والغاء حكم الاعدام ،
واستبدال السجن المؤبد به ؟

ورفضت النصيحة . وقلت لوالدى : لا تصدقهم فهم لا يملكون
اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل لما انتظروا منى اعترافا ،
ولامروا باعدامى منذ اللحظة الاولى !

اراد زوار الفجر – من الضباط المصريين والانجليز – ادخالى
سجن الاجانب ، تمهيدا للتحقيق معى ، بعد ان فشلوا فى العثور على
اى شئ داخل منزلى ، يمكن ان يديننى ، ويثبت اتصالى بالجواسيس
الالمان . ورفضت دخول سجن الاجانب . وتمسكت بحقى كضابط جيش
لا يمكن التحفظ عليه داخل سجن الاجانب . وطالبت باتباع القواعد
المتبعة مع الضابط ، والتخفظ على ميس الضباط ، وتحت حراسة
ضابط جيش مصرى .

واجرى زوار الفجر الاتصالات العاجلة ، ثم عادوا ووافقوا على
طلبى بعد ان وجدوا الحق معى . وتم ترحيلى الى قشلاق الفرقة (ب)

وكان يقع – فى ذلك الوقت – فى شارع القصر العينى وامام مجلس الشعب ، تمهيدا لنقلى فى صباح اليوم التالى الى ميس الضباط .
وهكذا فرضت رايبى على زوار الفجر ..

وفى اليوم التالى نقلت الى مكان التحقيق معى . وهو نفس المبنى الذى تشغله الان وزارة الدفاع . وكان وقتها مقر رئاسة الاركان . وتشغل المخابرات العسكرية جانبا خلفيا من هذا المبنى .

وكان مجلس التحقيق يتكون من ثلاثة ضباط من ادارة المخابرات العسكرية المصريه . واثنان من الضباط الانجليز . وضابط بوليس مصرى واحد . وحاولت ان افرض رايبى على زوار الفجر مرة اخرى . وتقدت بطعن فى تشكيل مجلس التحقيق .

وقلت فى طلبى :

– كيف يمكن ان اكون ضابطا فى الجيش ، ثم يحقق معى ضابط انجليز ، وضابط بوليس مصرى ؟ اننى ارفض المثل امام هذا المجلس ، واطالب باعادة تشكيلة من ضباط جيش مصريين فقط .

ولم يهتم او يلتفت . احد الى طلبى ..!

وارغمت على المثل امام مجلس التحقيق وبدا التحقيق الطويل

والمرهق ..

وضعونى بين عشرة ضباط من الجيش المصرى ، وارتدينا نفس نفس الملابس . ونفس الرتب تقريبا ووقفنا فى طاير للعرض امام جاسوس المانيا اللذين قبض عليهما قبلى . وطلبوا منهما التعرف على الضابط المصرى الذى تعرفا عليه وقدمهما الى الفريق عزيز المصرى ، وزارهما فى عوامتهما ، واخذ منهما جهاز الارسال والاستقبال اللاسلكى . وتطلع الجاسوسان – ابلى وساندى – الى الطاير الطويل ،

وفوجئت بابلر ينظر الى ثم يتوجه ناحيتى مباشرة ويشير باصبعه الى
قائلا :

— هذا هو !

الجاسوس الثانى — ساندى — كان اكثر خجلا من زميله ابلر
الذى لا يعرف الخجل ولا يحتفظ بسر ، فانه — على الاقل — لم يتجه
الى مكانى على الفور ويخرجنى من الصف ، كما فعل بلر ، وانما اخذ
يمر امام الطابور من اوله ، ويتطلع فى وجوه الضباط الواحد بعد الاخر
، الى ان وصل الى مكانى فتوقف ، وأشار — فى خجل — الى شخصى

وعرفت تفاصيل القبض على الجاسوسين فيما بعد ..

تبين انه قد تم القبض على ابلر وساندى بعد يومين فقط من
زيارتى لهما فى العوامة . لقد زرتهما يوم الجمعة . والقى القبض
عليهما يوم الاحد .. ثم قبضوا على يوم الثلاثاء .

وعرفت ان ابلر لم يستطع ان يصمد امام الذين حققوا معه . فقد
تطوع وادلى باعترافات كاملة ، مدعاه بكل التفاصيل ، الاسماء
والتواريخ ، وبشكل لم يكن المحققون يحلمون به او يتوقعون الحصول
عليه بمثل هذه السهولة !

لم يترك ابلر صغيرة ، او كبيرة ، الا وذكرها ، واعترف بها .
ووجدت نفسى حائرا بين امرين . الامر الاول ان انكر معرفتى
بالجاسوسين ،

وبالتالى اجد نفسى مطالبا بالدفاع عن موقفى بالنسبة لجميع
القرائن والوقائع والادلة التى حددها ابلر وتطوع بتفاصيلها .

والامر الثانى الا انكر معرفتى بالجاسوسين . وفى نفس الوقت
ابرر تلك الصلة بحيث يمكنى انقاذ نفسى من هذا المازق الذى وقعنا
فيه جميعا .

واخذت الامر الثانى :

قلت للمحققين :

نعم .. لقد تعرفت عليهما ولكن الحقيقه اننى لم اعرفهما
كجاسوسين لالمانيا ، وانما كضابطين فى الجيش البريطانى وهذا شئ
طبيعى ، ولا غبار عليه !

وقفز ابلر غاضبا ، وصارخا :

— هذا غير صحيح فهو يعرف اننا المان . ووافق على ان يلتقى
بنا سرا . ولم يحدث ان قدمنا انفسنا اليه كضباط انجليز .

وسالنى المحققون :

— واين التقيت بهما ؟

فقلت :

— التقيت بهما فى قشلاق الجيش بالعباسية . وهذا دليل على
اننى صدقت انهما ضابطان بريطانيان .

فلم يكن من المعقول ان يسمح بدخول جواسيس المان الى داخل
القشلاق ، ولا يكتشف امرهما ! وعاد ابلر الى القفز غضبا ، وصرخ
يكذبنى قائلا :

— غير صحيح . فلم يحدث ان دخلنا قشلاق العباسية . والحقيقه

اننا تقابلنا معه فى محل " الجمال " فى وسط القاهرة . وهو يحاول
الان ان ينفى ذلك . بعد ان حول محل الجمال الى قشلاق العباسية !

واراد ابلر اخراجى فسالنى امام مجلس التحقيق

— ان زميلك حسن عزت يعرفنا , ويتعامل معنا كالمان وهو
الذى قدمنا لك .

وبمنتهى الهدوء قلت :

— غير صحيح . وحسن عزت لا يعرف اى شئ عنكما سوى
انكما ضباط انجليز !

وكاد ابتر ان يفقد صوابه ، فهو يعترف ، ويقدم الدليل بعد الدليل
. وانا ارد عليه بمنتهى الهدوء . فاكذبه ، واجد مبررا مقبولا لكل ما
تصور انه يديننى ، ويورطنى معه .

ولم يكن سهلا ما قمت به فمئذ ان علمت بوقوع ابتر وساندى
فى قبضة المخابرات

البريطانيه والمصريه ، وانا افكر فى كيفية الهروب بجلدى
فمعرفتى السابقيه بابتر جعلتنى اتوقع تخاذله ، وعدم صموده وتطوعه
بتقديم الاعترافات لكل ما قام به .

وكان لا بد — والامر كذلك — ان اضح خطة ادافع بها عن نفسى
. وابتر بها تصرفاتى . وكنت فى حاجة الى مقابلة حسن عزت . ولم
يكن هذا بالامر السهل . فقد وضعت تحت التحفظ داخل ميس الضباط .
وتحت حراسه مشددة يقوم بها احد ضباط الجيش . ولم يكن مسموحا
لمن يتعرض لما تعرضت له ان يلتقى بزميل له يواجه نفس المصير
ليتفقا معا على خطة الدفاع . ولكن اخوانى من الضباط فى الميس
وافقوا على طلبى وسهلوا لى عملية مقابلة حسن عزت .

وقلت لحسن عزت :

— عندما يسالونك فى التحقيق ، فعليك ان تنكر كل شئ : واترك

الباقى على !

ونفذ حسن عزت ما طلبته منه بالضبط .

سالوه امام مجلس التحقيق :

— هل ذهبت مع انور السادات لمقابلة ابلىر وساندى ؟

ورد حسن عزت :

— نعم : ولكننى لا اعرف اى شئ عن هذا الموضوع : فانور

هو الذى حدثنى عن الضابطىن البريطانىين . وهو الذى قدمنى اليهما ،

وهو الذى كان يحدد مواعيد اللقاءات . ويأخذنى معه اليهما .

ولم تجد لجنة التحقيق ما تأخذه على حسن عزت . نتيجته لاقواله

والتى جئت انا وايدتها ، عندما قدمت المبررات اللازمة لجمع تصرفاتى

ولقاءاتى مع ابلىر وساندى .

وحاول ابلىر المستحيل من آجل تكذيبى . واقناع مجلس التحقيق

بتورطى معه . وتصور انه يستطيع ان يكشف امرى عندما نظر ناحيتى

وسالنى فى تحد :

— الم تأت لزيارتنا فى العوامة . وعندما اردت ترك العوامة

اقترب منك الكلب واخذ يهو هو فقلت لى طالبا ابعاد الكلب عنك ؟

فقلت له :

— لا لم يحدث ان ذهبت الى العوامة ، ولم يحدث ان رايت كلبا ،

او قطا !

فعاد ابلىر يسألنى :

— وجهاز اللاسلكى الذى اخذته منا فى العوامة ونقلته الى

منزلك ، اليس دليلا على زيارتك ، وعلى اتفاقك ؟ فقلت له :

– واين هو هذا الجهاز الذى تتحدث عنه ؟ لقد هاجم الضباط منزلى عند الفجر ، وقاموا بتفتيش جميع الغرف . فلم يعثروا على هذا الجهاز .

ولم يقتنع ابلىر بدفاعى . واراد ان يتحدث . وكنا نجلس معا امام مائدة فى مواجهة مجلس التحقيق . فاردت ان اسكته ، هب واقفا وقال صارخا :

– انظروا .. انه يدوس على قدمى لكى اسكت انه لا يريد الاعتراف .

وبنفس الهدوء ، تطلعت الى اعضاء مجلس التحقيق وقلت لهم :

– ارجو اثبات اننى لا اعرف اى شئ عما يقوله هذا الرجل .
فلا انا ضغطت على قدمه ، ولا انا عرفته كجاسوس المانى ، ولا انا زرتة فى العوامة بهذه الصفة . لقد قلت اننى خدعت فيه . عندما قدم لى نفسه كميجور فى الجيش البريطانى وتقابلت معه فى قشلاق العباسيه . وفيما عدا ذلك فؤاكد لكم انه كذب وافترء !
وازداد صراخ ابلىر . واضطروا الى ان يأمره بالصمت ، والجلوس فى مكانه ..!

ساندى – الجاسوس الالمانى الثانى – اضطر الى التصديق على اعترافات زميله ابلىر . ولكنه – اى ساندى – كان يشعر بالخجل ، وهو يدلى باعترافه وكان يتحدث وهو ينظر الى الارض . ولا يجروء على الى الامام وكان يتحاشى ان ينظر الى بعكس زميله ابلىر الذى لا يعرف الخجل . ولا الحياء !

وانتهى التحقيق ، ولم يستطع المحققون ان يحصلوا منى على

شئ ..

واعادونى الى ميس الضباط , تحت حراسة .. وذات صباح فوجئت بزيارة من والدى , الذى نجح فى الحصول على تصريح بذلك . وكنا فى شهر رمضان المبارك . وكان من الواضح جدا على وجه والدى انه يعانى من شئ ما لم اعرفه بعد . وبادرت بسؤاله :

— خير ... يا والدى ؟ ماذا يقلك هكذا ؟

ورد والدى :

— لقد زارنى امس اللواء على باشا موافى .. وقبل ان يواصل والدى حديثه تتطلعت اليه فى حيرة ، ودهشه . فاللواء على باشا موافى وقتها يشغل منصب رئيس ادارة الجيش . واما والدى فكان يشغل وظيفة متواضعة . بداها كباشكاتب فى ادارة القسم الطبى بالجيش ثم ترقى فيها الى ان وصل — بعد عمر طويل — الى منصب مدير ادارة . فما هو سبب الزيارة التى يقوم بها مسئول كبير جدا فى الجيش المصرى ، لموظف ادارى بسيط فى احدى الادارات ؟ ! حقيقة ان على باشا موافى كان يعرف والدى عندما كان خدما معا فى السودان ، ولكن تلك المعرفة البسيطة جدا لا يمكن ان تبرر تلك الزيارة التى قام بها على باشا موافى لمكتب والدى فى الادارة الطبية ! ولم يتركنى والدى طويلا فى حيرتى ، ..

قال لى :

— لقد ذهلت عندما فوجئت بعلى باشا موافى امامى . وذهلت اكثر عندما بدا يحدثنى قائلا : اسمع .. اننى اعرفك منذ ايام خدمتنا فى السودان وانا اعتبرك صديقى ! ولهذا السبب لم اطلبك لتحضر الى مكتبى . ورايت ان احضر انا اليك ! وانت تعلم اننى اهتم بك . وباولادك

. ولولا هذا لما اهتمت كل هذا الاهتمام ، واترك عملي ، ومسئولياتي ،
، واتي اليك هنا .

وقبل ان يلتقط والدي انفاسه ، عاد اللواء على باشا موافى الى
مواصلة حديثه قائلا :

اننى ارى ان والدك انور فى مازق خطير الان . وارى ان تذهب
اليه على الفور وتزوره فى الميس ، ويمكننى ان اساعدك فى استخراج
تصريح زيارة . وتنصح بان يعترف بكل شئ . فهذا الاعتراف هو
المبرر الوحيد الذى يمكننا ان نستند اليه ، عندما نتقدم ونطلب الرأفة
به . ومن المؤكد ان اعتراف سيعطيه الفرصة لاخذ حكم مخفف ولا
داعى الى ان انبهك الى ان عدم الاعتراف ، والاصرار على النفي
والانكار . سيقودان انور ابنك الى الاعدام رميا بالرصاص !

ولم يرحم على باشا موافى والدى ، الذى كان يرتجف خوفا ،
وفزعا ، من كلمات وتهديدات القائد العسكرى المهيّب فواصل موافى
باشا حديثه لوالدى قائلا :

— ولا اخفى عليك ان الحكم باعدام ابنك اصبح امرا مفروغا منه
. والحكاية كلها لن تستغرق سوى بضعة ايام معدودة . بل يؤسفنى ان
اقول لك ان هناك امرا لفرقة ضرب النار — التى تقوم باطلاق نيرانها
على المحكوم عليهم بالاعدام — لتستعد ، وتكون رهن الاشارة فى اية
ساعة ! فهل تريد لابنك ان يلقى هذا المصير ؟ نصيحتى لك ان تذهب
اليه ، وتقنعه بالاعتراف . فهذا وحده الحل لاتقاذه من الموت . فما
رايك !؟

ولم يكن لوالدى راي يقوله :

لقد اصيب باكبر صدمه له فى حياته .. فالقائد العسكرى المهيب
جاء لينقل اليه قرب اعدام ابنه ! فهل يمكن لاب ان يكون له راي فى
هذه الكارثة !

وانتهت المقابلة : وفى اول ساعة من ساعات نهار اليوم التالى
كان والدى يزورنى فى ميس الضباط ، وينقل الى الحديث الخطير الذى
سمعه من اللواء على باشا موافى .. وتصور والدى اتنى ساتهاوى ،
واسقط من طولى ، كما تهاوى هو وسقط ! ولكنه ذهل عندما وجدنى
اضحك له واسأله فى هدوء قائل :

— وهل صدقت يا والدى ما قاله موافى باشا !؟

ورد والدى فى حدة وقلق عظيمين :

كيف لا اصدقه وهو رئيس ادارة الجيش !؟

واسرعت محاولا تهدئة والدى فقلت له :

— ليس صحيحا ان جماعة ضرب النار تلتقت امرا بالاستعداد .
فهذا الامر لا يصدر الا بعد ان تنتهى المحاكمة ، ويصدر حكم الاعدام
رميا بالرصاص ضد المتهمين . وهذا لم يحدث حتى الان . فلا
المحاكمة انتهت ، ولا الحكم باعدامى صدر ، وبالتالي فلا يمكن ان
تتلقى جماعة ضرب النار هذا الامر الذى يتحدث عنه موافى باشا .
وانه يريد فقط اخافتك ، وتدخلك لاقتناعى بالاعتراف . وتأكد يا والدى
ان الاعتراف المطلوب هو الذى سيقودنى الى الاعدام ! انهم لا يملكون
اي دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل ، فهل كان يمكن ان يزورك
على باشا موافى ، ويزعم انه صديقك ، وتهمه حياة ابنك ، وينصحك
بالتدخل لاقتناعى بالاعتراف ، حتى تعطيهما الدليل الوحيد على ادانتى ،
ويستندوا اليه عند الحكم باعدامى !؟

ويبدو ان والدى اقتنع بكلامى فقد هز راسه موافقا ، وان
ازدادت حيرته وتعاضم قلقة ، فسألنى :

— اذا . ماذا ساقول لهم يا انور ؟ فعلى باشا موافى ينتظر ردك
، واكد لى انه سيعود لزيارتى غدا لسماع راىك ؟
وبنفس الهدوء قلت لوالدى :

— لا تقل شيئا . ويمكنك ان ترد على الباشا قائلا بانك لا دخل
لك فى هذا الموضوع . فاذا كان لى الجيش اى شىء ضد ابنك ، فعلى
الجيش ان يتصرف معه . فهو ضابط فى الجيش ويعرف ماذا يفعل
ويجب عليه ان يتحمل مسئولية عمله ؟

وعاد والدى يسأل وهو يحاول ان يبدو هادئ البال امامى :
— قل لى يا انور .. هل حقيقة انهم لا يملكون دليلا واحد ضدك
، يمكن ان يدينك ؟

ارجوك قل لى ياابنى ولا تخف عنى اى شىء ..
واسرعت ارد عليه :

— ابدأ .. ابدأ . فاطمئن ياوالدى ولا تشغل نفسك ابدأ بهذا الامر
الذى سينتهى على خير باذن الله . فكما قلت لك ان الجيش لم يحاكمنى
بعد . وكل ما حدث معى هو التحقيق معى امام مجلس التحقيق . فاذا
وجدوا اى شىء ضدى ، فسوف يحيلوننى الى المحاكمة العسكرية ، التى
ستحقق من جديد ثم تصدر حكمها فى القضية . وهذا كله لم يحدث حتى
الان . فاطمئن .

وسألنى والدى مرة اخرى :

— وماذا يحدث اذا اقتنع مجلس التحقيق باذانتك واحالك الى
المحاكمة العسكرية ؟

فقلت :

– لن يحدث . فهم لا يملكون اى دليل ضدى . ولو كان معهم هذا الدليل لم انتظروا علي حتى اليوم . لقد هاجموا منزلنا فى الفجر بحثا عن الدليل ، وهو جهاز اللاسلكى . وعندما لم يعثروا عليه ، ضاعت منهم القضية تماما . فلا جريمة بدون جسم الجريمة ! وتركنى والدى ، وهو لا يستطيع ان يطمئن تمام الاطمئنان على مصيرى ..

وفى صباح اليوم التالى جاء على باشا موافى لسماع رايبى الذى قلته لوالدى . ولم يستطع موافى باشا ان يقول لوالدى اكثر من !
– والله : لقد فعلت كل ما فى وسعى لانقاذ ابنك . ولا استطيع ان افعل اكثر من ذلك . وعلى ابنك ان يتحمل الان كل ما يحدث له !